تيموثي غايثنر، وزيتي أخطر عزيز، وآندرو متريك، وأوغستن كارستنز في حرم جامعة ييل.

أكاديمية الأزمات

فرسان حقبة الأزمة المالية العالمية يمررون خبرتهم للجيل القادم من مسؤولي الأجهزة التنظيمية

كريس فيليش

تكرَّر الأمر مراراً عبر تاريخه الوظيفي الذي شهد اضطرابات مدوية: أزمة البيزو في عام ١٩٩٤، والأزمة الآسيوية في عام ١٩٩٧، وأخيراً الحدث الكبير — الأزمة المالية العالمية لعام ٢٠٠٨.

وفي كل مرة يتقلد فيها منصباً حكومياً جديداً، كان تيموثي غايثنر يأمل أن يجد رسالة من سلفه يشرح فيها ما يتوجب عليه القيام به وإلى من يمكن أن يلجأ إذا تدهورت الأوضاع. ولكنه كان يجد درج المكتب خاوياً في كل المرات.

يقول تيموثي غايثنر: «ربما تكون الأزمات المالية هي أكثر الأحداث تدميراً للاقتصاد في أي بلد». وقد كافح غايثنر آخر حريق من هذا النوع عندما كان رئيساً لبنك الاحتياطي الفيدرالي في نيويورك ثم وزيراً لخزانة الولايات المتحدة في وقت لاحق. ولذلك يقول: «أود أن نترك للكوادر القادمة قاعدة معرفية أفضل».

ومن هذا المنطلق، يخصص غايثنر بعض الوقت كل صيف بعيداً عن عمله كرئيس لشركة ووربرغ بنكس الخاصة للاستثمار في الأسهم، للمساهمة في تدريس حلقة تطبيقية عن إدارة الأزمات تُنظَّم على مدار أسبوعين للأجهزة التنظيمية حول العالم، وهي جزء من برنامج جامعة ييل المعني بالاستقرار المالي والذي يمنح درجة الماجستير أيضاً ويضطلع بمشروع طموح لإعداد ما لم يجده غايثنر قط في مكتبه الجديد — ألا وهو دليل عملي لمديري الأزمات.

ويقول آندرو متريك، أستاذ العلوم المالية في جامعة ييل الذي أنشأ البرنامج ويتولى إدارته: «لطالما كررنا نفس الأخطاء عند مكافحة الأزمات المالية في فترات مختلفة، لمجرد عدم وجود أي قاعدة معرفية قام الناس بدراستها ومناقشتها معاً. إنه أمر يشبه حالة الطبيب الذي يقول لك حين تذهب إلى غرفة الطوارئ «يبدو أن ذراعك قد كُسِرت. وأعتقد أنني رأيت أحداً ذات مرة يعالج ذراعاً مكسورة بطريقة ما.»

إنعاش سوق الإسكان

وكان متريك واحداً من أطباء غرفة الطوارئ المالية. فبعد انهيار بنك ليمان برازرز بستة أشهر في سبتمبر ٢٠٠٨، تلقى مكالمة من إدارة الرئيس أوباما، حيث كانوا في أمس الحاجة لمتخصص في الاقتصاد المالي. وهكذا انتقل متريك إلى واشنطن لينضم إلى عضوية مجلس المستشارين الاقتصاديين. وبصفته كبيراً للاقتصاديين هناك، ساعد على

الصورة: MARA LAVITT ؛ ISTOCK/STRIZH

وضع برامج لإنعاش سوق الإسكان والسوق المالية. وعندما حان وقت اقتراح تشريع في هذا الخصوص، اكتشف أن الأبحاث الأكاديمية لم تكن لها فائدة كبيرة.

يقول متريك: «لم يكن هناك رابطة حقيقية وثيقة بين المعرفة الأكاديمية والحدس الاقتصادي وما يمكن أن نضعه في القانون بالفعل، نظراً لعدم وجود أي قاعدة بحثية جيدة. وقد عقدت العزم على أن أحاول المشاركة، عند عودتي إلى المجتمع الأكاديمي، في أي جهد من شأنه المساعدة في سد تلك الثغرة.»

وكانت هذه النشأة الأولى لبرنامج جامعة ييل المعني بالاستقرار المالي، والذي انطلق في عام ٢٠١٤ بتبرعات قدمتها جهات من بينها مؤسسة ألفريد سلون. وقد انضم إليه غايثنر بعدها بفترة قصيرة، فبدأ التدريس وجمع المساهمات كما تولى رئاسة المجلس الاستشاري الذي ضم محافظين سابقين لبنوك مركزية مثل بن برنانكي محافظ بنك الاحتياطي الفيدرالي، وأوغستن كارستنز محافظ بنك المكسيك، وزيتي أخطر عزيز محافظة بنك ماليزيا.

تركيز عملي

وبمنظور جديد لما يجب التركيز عليه، انضم غايثنر إلى ما أصبح معروفاً باسم «مشروع باغهوت الجديد لمواجهة الأزمات»، على اسم والتر باغهوت الاقتصادي البريطاني الذي عاش في القرن التاسع عشر وألف كتاباً عنوانه شارع لومبارد: وصف لسوق المال هو بمثابة مرجع موثوق لحراس الاستقرار المالي. ويقوم الباحثون العاملون في المشروع، وعددهم ١٤، بتجميع دراسات حالة للإجراءات التي سبق اتخاذها في مواجهة الأزمة المالية العالمية وأزمة اليورو التالية لها. وهم يخططون في النهاية لدراسة حالات الهوس والذعر السابقة، بالرجوع إلى «فقاعة بحر الجنوب» في القرن الثامن عشر.

وقد أفرزت الأزمة العالمية كتباً ومقالات ومذكرات لا حصر لها، ولكن مشروع باغهوت يسعى لتحليلها بطريقة منهجية — وتحديد أنواع الإجراءات الحكومية التي ثبتت فعاليتها، والأنواع التي لم تكن موفقة، والسبب في كل حالة. ويضم المشروع استشاريين قاموا بتصميم برامج مكافحة الأزمات في بلدان مختلفة.

وفي هذا الصدد، يقول متريك: «ينصب تركيزنا في الواقع على التفاصيل الفنية لأنواع التدخلات المختلفة.»

وتتمثل خطتهم في إنشاء أداة على شبكة الإنترنت يمكن أن يستخدمها مديرو الأزمات في الوقت الحقيقي إذا احتاجوا، مثلاً، إلى إعادة رسملة بنك أو إقامة تسهيل لتوفير السيولة في حالات الطوارئ. ويمكنهم الاسترشاد بهذه الأداة أيضاً في معرفة ما يتعين اجتنابه، مثل قرار آيرلندا بضمان التزامات بنوكها، الذي تسبب في تحويل السحب الجماعي من البنوك إلى أزمة دين سيادي أشد خطورة بكثير.

وعن هذا يقول غايثنر في مقابلة أجريت معه: «لأن المعهود أن ذعر الأسواق نادراً ما يتكرر في نفس البلد، حتى وإن كان يحدث حول العالم بمعدلات تواتر صادمة، فلا يوجد بالفعل ذاكرة مؤسسية كافية توضح كيفية التعامل مع الأزمات المالية النظامية، وبالطبع لم تكن مثل هذه الذاكرة موجودة لدى وزارة الخزانة أو الاحتياطي الفيدرالي».

التعلم من التاريخ

وندوة الصيف — التي يسميها غايثنر «الكلية الحربية» — هي حلقة تطبيقية لمدة أسبوعين لمسؤولي البنوك المركزية والأجهزة التنظيمية. وقد أرسلت البنوك المركزية في الصين وأوروبا واليابان والولايات المتحدة مسؤوليها للمشاركة فيها، إلى جانب جهات أخرى مثل بنك التسويات الدولية وآلية الاستقرار الأوروبية. وهناك جزء آخر في برنامج جامعة ييل هو «منتدى الأزمة المالية» الذي يستغرق يومين ويتحدث فيه مسؤولون متمرسون مثل وزير الخزانة هنري بولسون عن رؤيتهم لموضوعات تبدأ من ضخ رؤوس الأموال إلى أسواق المال المتجمدة.

يقول بول تاكر، نائب محافظ بنك إنجلترا من ٢٠٠٩ إلى ٢٠١٣: « إن التعلم من التاريخ أمر حيوي بالنسبة للجيل الحالي من المسؤولين، وخاصة الشباب الذين يحضرون هذا المؤتمر. وفي الفترة المقبلة، سيحتاج المسؤولون الحاليون أيضاً إلى التعلم من الأزمات التي قد تتعجبون أننا تجنبناها أو نجحنا في احتوائها».

خطتهم هي إنشاء أداة على شبكة الإنترنت يمكن أن يستخدمها مديرو الأزمات في الوقت الحقيقي إذا احتاجوا إعادة رسملة بنك.

وأخيراً، درجة الماجستير في المخاطر النظامية التي تمنحها جامعة ييل بعد دراسة سنة واحدة، والتي تتيح للمتخصصين في مقتبل حياتهم الوظيفية فرصة لصقل مهاراتهم وبلورة مهارات جديدة. ومن أحدث خريجي هذا البرنامج أوزغو أوزن شافوشوغلو، التي عادت لوظيفتها في قسم الاستقرار المالي لدى بنك تركيا المركزي وبدأت تجري أبحاثاً حول نظام للإنذار المبكر يمكن تطبيقه في الاقتصاد التركي.

وتقول أوزن شافوشوغلو إن التعارف مع الزملاء من أنحاء العالم كان فرصة لا تقل عن ذلك أهمية. وتستطرد قائلة: «نحن نعيش في عالم مترابط، ومن ثم فإن شبكة الناس ذوي الفهم المشترك ستضطلع بدور مهم في تحقيق اقتصاد عالمي مستقر». FD

كريس فيليش هو عضو في هيئة تحرير مجلة التمويل والتنمية.